كما يعلنون افراحهم الآن . لقد سقط عبدالناصر . الرمز والصوت والامل . خبر صغير في حجم الموت . ثلاثة شبان من الناصرة توقفت قلوبهم وماتوا . قرى الصعيد والاقاليم تزحف الى القاهرة لتعيد عبدالناصر الى الوقوف . كيف يكون الرمز في حجم الوطن ؟ لان بقاء الرمز يبعث الامل باستعادة الوطن . يوم كان جمال عبدالناصر يقول : « أيها الاخوة المواطنون » . ويبدأ ... كان كل شيء يتوقف عن الحركة . كان الجائع يشبع ، والغريب يعود . وكانت فلسطين تقف على أقدامها تأهبا للتحرير . يوم كان جمال عبد الناصر يقول : « ايها الاخوة المواطنون » ويبدأ ، كان سكان الارض المحتلة يعتقلون أنفسهم ، من أصغر طفل الى أكبر شيخ ، قرب أجهزة الراديو . وكثيرا ما كانوا يندفعون الى الجهاز الذي يحمل صوت عبد الناصر ويقبلونه في نشوة وطنية وانسانية لا توصف . والآن يذهب ؟.. صار التعلق بالوطن والتحرير مرتبطا بعودة عبد الناصر . وحين عاد ، أحس العرب بأنهم حققوا انتصارا ، وخلصوا الامل من براثن الهزيمة .

تترك أوراق الجريدة في المخبأ . ماذا كتبت ؟ كنت تغطي أخبار المعارك وتكتب الجريدة، وتبوبها ، وتصحح بروفاتها ، لان زملاءك في هيئة التحرير قد اعتقلوا . دخلت مجموعة من رجال البوليس في ساعة مبكرة من صباح ذلك الاثنين وتلوا اسم زميل . وضعوا يديه في الحديد ، وساقوه ، على مرأى من الناس ، الى سيارة الشرطة . ثم عادوا وتلوا اسما آخر ، حتى لم يبق غير رئيس التحرير وغيرك في المكتب . والجريدة تصدر غدا في موعدها . المهم ان تصدر الجريدة لتحمل لونا من الامل الى قرائك الذين لا يحميهم من الحرب النفسية سواكم ؟.. التفت اليك رئيس التحرير وقال : خذ أوراقك واذهب الى اي مكان . الآن دورك ! وذهبت الى أي مكان لتواصل كتابة الجريدة . وعلمت فيما بعد ، أن زملاءك قادتهم الشرطة في شكل أسرى الى ساحة المدينة ، على مرأى من الاسرائيليين ، الذين رأوا الفوج الأول من أسرى الحرب . من قرر عملية الاعتقال الداخلية ؟ في الرابع من حزيران وقع قائد الجيش على لائحة المرشحين للاعتقال . كل شيء منظم . وفي المخبأ لم تعرف شيئا عن الحقيقة : العرب يعلنون عن تغلغلهم في فلسطين . والاسرائيليون لا يقولون شيئا . تسمع الذعر المنتشر خارج المنزل . وتسمع عن هيجان البوليس في القرى العربية المنتظرة ... الضرب والتعذيب والسباب . ولكن الناس تعد عمر سلاسلها باللحظات . هذه رقصة البجعة . وتسمع عن احتراق مصافي البترول منذ ساعات ، وتسجل الخبر . وتفطن ، بعد قليل ، الى أن مخبأك مطل على الميناء ، تسترق النظر عبر ستارة النافذة ، فلا تجد حريقا في مصافي البترول . الحريق في القلب . ثم ، يأتيك نبأ من البرلمان الاسرائيلي ، في أول ساعات المعركة ، بأن الوزراء الاسرائيليين يشربون الانخاب . حمقى ... يشربون الانخاب ! كيف . يقولون أنهم قضوا على أسطورة جيش عبد الناصر . وفي منتصف الليل ، يأتي قائد الجيش الى الاذاعة ليعلن حصاد المعارك : تحطمت الطائرات عند الفجر . والقوات الاسرائيلية تقاتل عند مدخل رفح !!..

وتعود ، من رحلة الامل السريع ، الى حيفا . تعود الى الحقيقة . من يعطيك الحقيقة ؟ العدو . لقد وعدني أهلي بالوصول ، فانتظرت . ذهبوا من اماكنهم ، فانتظرت الامل . أخذتني الاناشيد والاذاعات والانقلابات الى الحقول التي أحلم بها . أخذتني الى انسانيتي ، وتركتني في منتصف الطريق . أيها العرب ! لماذا تكذبون علي. لم تكتب هذه الخواطر في الجريدة . كتبت أشياء أخرى . حتى عبدالناصر يذهب ، الآن ، ويتركني . بلا وطن ، وبلا عبد الناصر أيضا ؟!..

هكذا ابتدأ كل شيء ،

وهكذا ، انتهى كل شيء .